لماذا تسحبني من ذراعي؟



الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إعداد
مكتبة الحرم المكي الشريف

إنتاج
إدارة المطبوعات والنشر

الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

لماذا تسحبني من ذراعي؟

إعداد
مكتبة الحرم المكي الشريف

إنتاج
إدارة المطبوعات والنشر

لماذا تسحبني من ذراعي؟

وأخيراً حلّ بجسده في المكان الطاهر وإن كانت أشواقه قد سبقته إليه منذ خرج يريد الحج.. قصد مكة أولاً.. شهق حالما رأى الكعبة.. كاد أن يُغمى عليه من فرط البكاء.. أتمّ النُّسُك مطمئنًّا فرحاً..

بقي على الحج بضعة أيام فأراد أن يزور المسجد النبوي وما إن طاف اسم الحبيب صلى الله عليه وسلم في خاطره حتى جاشت مشاعره وفاضت عيناه بالدمع طويلاً.. تناهى إليه الأذان.. صوت يعطّر السماء ويشرح الأفئدة.. ورأى المآذن من بعيد.. أذرع طويلة تمتد إلى السماء بالنجوى.. تجأر إلى الله وتشعّ بالنور!

دخل المسجد ثم قصد الروضة مباشرة.. قطعة من رياض الجنة عُجّل بها للمتيَّمين في الدنيا.. صلى ركعتين بقرب شاب وضيء الوجه برّاق الثنايا.

السلام عليك يا رسول الله

بقي في الروضة ساكناً لا يتحرك.. تمور بداخله المشاعر يريدها أن تسكن ينتظرها كي تهدأ وتستكين.. ثم قام أخيراً وتوجه للسلام.. يا إلهي ما كل هذا التشريف؟ وما هذه المكرمات؟ وكيف يشكر الله عليها ويؤدّي حقها؟

ها هو يقف أمام قبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مستحضراً أدب السلام..

يتمتم بصوت مضطرب:

السلام عليك يا رسول الله..

ويظل يردّد:

السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا رسول الله.. وفجأة ينفجر باكياً وهو يقول:

اشفع لي يا سيدي عند الله.. اشفع لي يا سيدي عند الله.. اشفع لي يا..

وقبل أن يكمل طلبه يجد نفسه مسحوباً من ذراعه بقوة.. مسوقاً إلى ناحية قصية من المسجد.. والغريب أنه لان وانقاد..

التفت إليه من يسحبه فإذا به الشاب الذي صلى بجواره الركعتين في الروضة قبل قليل وإذ به يستأذنه بلطف ويعتذر إليه مبتسماً:

عفواً يا عم.. هل تجلس معي دقائق لأكلمك؟

﴿لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾

سكت متفاجئاً من غرابة الموقف ولم يردّ فأعقبه الشاب قائلاً:

أكرّر الاعتذار ولكن لابد من التحدث معك..

وهل كان لابد من مقاطعة نجواي؟ أما وسعك أن تنتظر؟

كلا، كان لابد من مقاطعتك في الحال..

لماذا؟

لأنك تسأل الشفاعة ممن لا يملكها..

قال باستغراب شديد وانفعال واضح:

كيف لا يملكها وهو من يشفع للمؤمنين يوم القيامة؟

بل هو صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين يوم القيامة بإذن الله تعالى له في الشفاعة؛ إذ لا أحد يملك الشفاعة مستقلاً بها..

وما الفرق؟

الفرق أنك لا تسأل شيئاً أو حاجة إلا ممن يملكها ابتداءً والشفاعة لا يملكها إلا الله سبحانه، لا يستطيع أحد الشفاعة لأحد إلا بإذنه، فيجب طلبها من الله وحده، فلا نسألها من غيره ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أحبّ الخلق إلى الله. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الزمر: ٤٤).

﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: هذا دليل من يملك الشفاعة، فما دليل الإذن في الشفاعة؟

آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، (سورة البقرة:٢٥٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سورة سبأ:٢٣). وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، (سورة الأنبياء:٢٨).

لكن متى يأذن الله للشافع؟ وكيف ينال المسلم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم؟

أحسنت يا عم، هذا سؤال مهم.. هناك شرطان لا تنفع الشفاعة إلا بهما..

ما هما؟

الشرط الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، **والشرط الثاني**: رضا الله تعالى عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد والإخلاص، وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». (أخرجه البخاري).

قال متأثراً مستبشراً:

الحمد لله، الحمد لله..

ثم أردف يقول ضاحكاً:

فعلاً، كان لابد من مقاطعتي وسحبي من ذراعي سحباً عنيفاً!

شعر الشاب بشيء من الحرج فبادر معتذراً:

أكرّر لك أسفي واعتذاري يا عم..

بل أنا من أكرّر اعتذاري، وأستغفر الله من طلب الشفاعة من غيره.. جزاك الله عني خيراً يا بني.. سأذهب لأكمل سلامي. ومنذ اليوم سأطلب الشفاعة من الله وحده لا من أحد غيره؛ كي لا يسحبني أحد آخر من ذراعي بقوة!

وأطلق الاثنان ضحكة رقراقة قبل أن يفترقا.